البنـــاء
السنة السادسة / الخميس / 5 شباط 2015 / العدد 1702
Sixth year / Thursday / 5 February 2015 / Issue No. 1702

حرق الكساسبة: لا إعدام الإرهابيين ولا القصف الجوي حلاً

■ حميدي العبدالله

قرّر الأردن الردّ على إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة بإعدام إرهابيين حكم عليهم بالإعدام منذ عام 2005 إثر تفجيرهما فندقاً في عمان ذهب ضحيته عشرات النزلاء والأردنيين. وأصدر الجيش والحكومة الأردنية بيانات منفصلة تهدّد «داعش» بردٍّ قاس.

وواضح أنّ هذا الردّ لن يتجاوز واحداً من أمرين، ألأول إعدام الإرهابية ساجدة الريشاوي، والإرهابي زياد الكربولي، والثاني قيام طائرات أردنية بالتعاون مع طائرات التحالف الأميركي بقصف مواقع تنظيم «داعش» في سورية والعراق، وهو أمر يحدث كلّ يوم تقريباً منذ إعلان التحالف شنّ ضربات ضدّ «داعش» في سورية والعراق.

لكن هذا الردّ لن يؤثر على قدرات «داعش» ولا يشكل في واقع الأمر رداً، فهو جزء من عمل روتيني تعايش معه تنظيم «داعش»، وإذا كان هناك مواقع قد خسرها التنظيم في سورية (عين العرب) وفي العراق (ديالى وسنجار) فإنّ ذلك لا يعود الفضل فيه إلى ضربات القوات الجوية، بل تمّ ذلك من خلال القوات البرية ممثلةً بالأكراد والجيش العراقي.

إنّ الردّ الفعلي يكمن في واحد من أمرين، الأمر الأول إرسال وحدات من الجيش الأردني لمقاتلة «داعش» التي تسيطر على مناطق واسعة من العراق في القاطع المحاذي للحدود الأردنية، ولكن ذلك يتطلب التعاون والتنسيق مع الحكومة العراقية. الأمر الثاني إرسال قوات أردنية للقتال إلى جانب الدولة السورية، إضافة إلى إغلاق معسكرات الجماعات المسلحة، ومنع تسللها عبر الأردن إلى داخل الأراضي السورية، وبديهي أنّ إرسال قوات أردنية إلى سورية يستوجب حكماً التنسيق مع الدولة السورية، ولكن إرسال قوات إلى العراق أو إلى سورية، وإغلاق معسكرات المسلحين ووقف تدفقهم إلى الداخل السوري، قرار ليس بيد الحكومة الأردنية، بل بيد الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، والدول الخليجية. إذ من المعروف أنه منذ البداية لم تكن مصلحة الأردن، الشعب والدولة، في تنامي نفوذ الجماعات المسلحة في سورية، سواء كانت هذه الجماعات مصنّفة جماعات إرهابية أم لا، ذلك أنّ جميع التشكيلات التي تنشط في سورية، مثل «الإخوان المسلمين»، والسلفيين، إضافةً إلى التنظيمات التكفيرية، تشكل تهديداً للأردن بالمستوى الذي تهدّد به سورية، ولو كان الأردن يمتلك قراره السيادي، ويضع مصلحته فوق كلّ الاعتبارات، لما وافق على فتح حدوده أمام الإرهابيين للتسلل إلى سورية وتدريب الكثير منهم الذين انضمّوا لاحقاً إلى التنظيمات الإرهابية، ولكن الإملاءات الغربية والخليجية هي التي جعلته يتصرّف في غير مصلحته إلى أنّ تعاظم خطر الإرهاب، وبات يشكل تهديداً واضحاً لا يمكن تجاهله، وعلى أية حال لقد أدخلت الحكومات الغربية والخليجية الأردن الدوامة التي يصعب عليه الخروج منها من دون دفع ثمن باهظ.

تهديدات علوش وقذائفه أوراق اعتماد لـ«الإسرائيلي»

■ سعد الله الخليل

قبل أيام هدّد زهران علوش باستهداف دمشق وأسقط صواريخه على الأحياء السكنية ليعود ليعلن مدينة دمشق بالكامل منطقة عسكرية ومسرحاً لعملياته طالباً من «المدنيين وأعضاء البعثات الديبلوماسية وطلاب المدارس والجامعات عدم الاقتراب من أيّ مقرّ من مقار حكومية أو حواجز الجيش السوري.

وعيدُ علوش أتى بعد تحالفه مع «جبهة النصرة» والتي وصفها في آخر «خطبة جمعة» له بعدوّة الأمس الحليف الميداني الذي يجري التنسيق معه. واعتبرها الأخ الأقرب له، وكانت باكورة التعاون لـ«جيش إسلام» علوش و«النصرة» هجومهما على مسلحي سقبا تزامنت مع حملات دهم واعتقالات شملت ما يقارب 120 مقاتلاً.

إذاً من العداوة إلى الصداقة تحوّلت علاقة علوش بـ«النصرة»، تحوّل تزامن مع إعادة ترتيب الأوراق في المملكة السعودية وطي صفحة بندر بن سلطان، والذي أقيل عقب يومين من زيارة أوباما إلى الرياض، ويوصف بندر برجل المهمات الصعبة والقذرة سياسياً وأمنياً، بعد سحب الملف السوري من يده بعد انتقادات أميركية لإدارته ملف دعم المعارضة المسلحة.

من الوكيل إلى الأصيل تنتقل العلاقة والتنسيق فبعد التعديلات التي أبقت مصير متعب بن عبد الله غامضاً وإقاله بندر وحلفائه كخالد التويجري الرجل القوي والمهم طوال السنوات العشر، تفضّل المجموعات المسلحة المحسوبة على السعودية التموضع في ضفة تمتلك من أسهم النجاح أكثر مما تملكه أوراق بندر المحروقة، فكان التوجه إلى «جبهة النصرة» كحليف متقدم لـ«الإسرائيلي».

فالتعاون والتنسيق بين «النصرة» والعدو «الإسرائيلي» مرّ بمراحل حتى وصل إلى العمل المباشر، والعلاقات بين الطرفين تمضي قدماً وتكشف التقارير يوماً بعد يوم مزيداً من الحقائق، فمن تقديم العون الطبي وعلاج الجرحى إلى تقديم المعلومات الاستخبارية إلى اللقاءات المباشرة، وهو ما أكدته تقارير مراقبي الأمم المتحدة العاملين في الجولان المحتلّ، والتي تنشر على موقع الأمم المتحدة بصورة دورية حيث تفنّد التقارير مضمون الاتصالات على الحدود بين عسكريين «إسرائيليين» ومسلحين سوريين وتوثق عشرات اللقاءات وإدخال جرحى إلى «إسرائيل» بمرافقة مركبات عسكرية «إسرائيلية»، ونقل صناديق غامضة المحتوى إلى سورية، إلى صفقة الأسلحة «الإسرائيلية» التي موّلتها السعودية بقيمة خمسين مليون وموافقة الأردن على تمرير الأسلحة، ولعلّ التفاف «جبهة النصرة» حول الخط الفاصل تحت غطاء مدفعية الجيش «الإسرائيلي» والتنسيق الكبير الذي كشفت عنه الغارة «الإسرائيلية» الأخيرة على القنيطرة والتصريحات العلنية لرموز المعارضة السورية ومسؤولين «إسرائيليين»، حول وحدة الصف، والعدو لا يترك مجالاً لنفي تلك العلاقة.

يوماً بعد يوم توسع «إسرائيل» تعاونها مع ما يحلو لواشنطن وحلفائها بوصفه بـ«المعارضة المعتدلة» كزهران علوش واجهة لحليفته «النصرة» بعد خروج السعودية من اللعبة... تهديدات علوش وقذائفه اوراق اعتماد لـ«الإسرائيلي»...

سجناء بالبرتقالي

يلبس رهائن «داعش» وهم يُساقون إلى حتفهم ذات اللباس الذي يعتمده الأميركيون لسجناء غوانتانامو.

السلاسل تشبه السلاسل التي يعتمدها الأميركيون مع ذاكرة مليئة بالمآسي والرعب لسيرة العبودية قبل قرون.

اللون البرتقالي يساعد في إصابة المتلقي بالانفعال العالي سلباً أو إيجاباً فهو لون الإبهار.

تعتمد الأحزاب والمؤسسات والسلع التي تريد إبهار متلقيها البرتقالي لوناً لشعاراتها.

الإبهار بالخوف تريده واشنطن من غوانتنامو والإبهار بالذعر والرعب مقصد «داعش».

ما الصلة بينهم ؟

تقول الوقائع إنّ «داعش» مشتق من «القاعدة» التي أسّستها أميركا في الثمانينات لقتال السوفيات.

دور «داعش» برعاية تركيا وبمعرفة أميركا.

يقول فيلتمان نقدر على إنهاء «داعش» لكننا نستعملها لإضعاف الحكم في سورية والعراق.

مهابة «داعش» بناها أوباما بقوله لن نستطيع النصر إلا بحرب طويلة لسنوات، وهو لم يقل ذلك عن روسيا ولا إيران.

إبهار «داعش» بالانتصارات.

الإبهار صار في فنون القتل والتعذيب كأنها صناعة هوليود.

يدير «داعش» عقل أميركي يريدها كخصم له بعظمته لتستحق الحرب الطويلة وتستقطب المتطرفين ليتخلص منهم.

أميركان ستايل «داعش».

التعليق السياسي

مضبطة فهد المصري المشبوهة «حول مستقبل الفلسطينيين في سورية»

■ رامز مصطفى

مع بداية الأحداث في سورية في آذار من العام 2011، بدأت تتعالى بعض أصوات ما يُسمّى المعارضة السورية المطالبة في إعادة النظر لجهة التعاطي والتعامل مع الفلسطينيين المقيمين على الأراضي السورية – و«الذين شرّدوا من وطنهم فلسطين بسبب الاحتلال الإجلائي الصهيوني الذي اغتصب أرضهم بالحديد والنار والقتل والإجرام» – من خلفية أنّ هؤلاء الفلسطينيين يستحوذون على عشرات الآلاف من الوظائف العليا في الدولة السورية، وهم بذلك يأخذون من حق السوريين. وعندما هاجمت المجموعات المسلحة مخيم اليرموك ودخلت إليه وهجرت أهله في منتصف كانون الأول من العام 2012. صرّح جورج صبرا رئيس ما يُسمى «المجلس الوطني السوري» آنذاك، بأنّ من حق الجماعات المسلحة الدخول إلى مخيم اليرموك لأنها أرض سورية، وليس من حق أحد أن يمنعنا، وهذا ضروري من أجل التقدم نحو مدينة دمشق.

وطيلة ما يقارب السنوات الأربعة على الحرب التي تُشنّ على سورية، والتي مثل الوجود الفلسطيني هدفاً للجماعات المسلحة ومن يقف وراءها في الواقع الإقليمي، وتحديداً الكيان «الإسرائيلي» من أجل دفعهم إلى الهجرة خارج الأراضي السورية، وصولاً حتى المنافي وراء البحار في الدول الأوربية وسواها. هذا الاستهداف الممنهج يأتي في سياق إنهاء قضية اللاجئين وشطب حق عودتهم إلى أرضهم فلسطين التي طردوا منها العام 1948. لا تزال بعض هذه الجماعات المعارضة وشخصياتها تعمل على تسويق رؤى وأفكار ومشاريع تصبّ في مجموعها على كيفية إعادة صياغة علاقة الاخوة التاريخية القائمة بين السوريين والفلسطينيين، والتي تعمّدت بالدم المشترك في المعركة المصيرية الواحدة ضدّ العدو الصهيوني، وما مثله ذلك على مدار العقود الماضية من نموذج راقٍ لعلاقة قائمة على أسس وطنية وقومية راسخة، وفي احتضان قلّ نظيره في جميع الدول التي وصل إليها الفلسطينيون منذ العام 1948. حيث أثبتت سورية بشعبها ودولتها وقيادتها أنها بحق البلد العربي الوحيد الذي تفرّد في معاملة الفلسطينيين أسوة بأشقائه السوريين في كلّ شيء ما عدا التجنيس وحق الترشح والانتخاب. مع تحمّلها تبعات وقوفها الحازم وما شكلته من عمق استراتيجي في احتضانها القضية الفلسطينية وفصائل المقاومة في الشعب الفلسطيني، والانخراط الواسع من الشباب العربي السوري في فصائل الثورة الفلسطينية، بحيث لا تخلو مقبرة من مقابر الشهداء إلا وهناك أضرحة من الشهداء العرب السوريين الذين سقطوا في معركة الدفاع عن القضية والثورة، حتى منذ ما قبل اللجوء الفلسطيني العام 1948.

في سياق ما تحيكه بعض المسماة «معارضة»، يخرج علينا منسّق ما تسمّى «مجموعة الإنقاذ الوطني» فهد المصري، وفي مضبطة طويلة حملت عنوان الملف الفلسطيني «حول مستقبل الفصائل واللاجئين الفلسطينيين في سورية» كجزء مما أسماه «مشروع الإنقاذ الوطني في سورية». مثلت في مجموعها حرفاً غير مسبوق عن الأصالة القومية التي مثلتها سورية على امتداد العقود الماضية، وبالتالي نسفاً لكلّ القيم الوطنية التي طبعت سورية وشعبها العربي الأصيل.

وفي تناولنا لما جاء في مضبطة فهد المصري الطويلة من الإساءات التي لا حصر لها للعلاقة التاريخية التي جمعت أبناء شعبنا في سورية وفلسطين، وبالتالي إساءة متعمّدة في التنكر لكلّ تاريخ سورية العربي والقومي الممانع والمقاوم، ولكلّ التضحيات التي قدمتها سورية على امتداد عقود من الصراع والدفاع عن قضايا أمتنا العربية، والتي لطالما مثلت سورية رأس الحربة في صراع هذه الأمة مع الحركة الصهيونية وكيانها الغاصب.

وفي قراءة لما احتوته مضبطة فهد المصري بشكل متأنّ، بعيداً عن المواقف المسبقة، نكتشف ومن دون أي جهد، أو أنّ تكلفنا عناء التحليل، وعلى الرغم من الكلام الإنشائي في مقدمة مضبطته، حول التزام الشعب السوري دعم القضية الفلسطينية في كلّ المحافل الإقليمية والدولية، فهي مضبطة فصلها المصري على قياس أوهامه وما يمثل، وما يضمره للقضية والشعب الفلسطيني من كيد وحقد سياسي، ليس أقله أنّ كلامه وما سطره يتقاطع مع مساعي الكيان «الإسرائيلي» الهادفة إلى القضاء على القضية الفلسطينية، قضية العرب المركزية. وسرعان ما يتكشف على أنه بمثابة المدخل نحو المطالبة والسعي إلى التخلص مما يسمّيه البعض عبء القضية والشعب الفلسطيني، ودعوة صريحة إلى التخلي عنهما في ظلّ هجمة «إسرائيلية» غير مسبوقة من أجل تصفية القضية التي أسماها فهد المصري محورية للعرب والمسلمين.

صحيح أنه متحامل جداً على الفصائل التي وقفت إلى جانب سورية الدولة والشعب في مواجهة الهجمة التي تقودها الولايات المتحدة وحلفاؤها وأدواتها، من أجل إسقاطها لصالح مشروع يتوافق وحاجات تأمين الكيان «الإسرائيلي» كدولة إقليمية قوية، وبالتالي استمرار سيطرة كاملة على مناطق الطاقة من نفط وغاز، على الرغم مما يُحكى عن قرب أن تصبح الولايات المتحدة من أوائل الدول التي تمتلك هذه الطاقة دون الحاجة أن تضمن ضخه وتأمينه من دول المنطقة والخليجية منها على وجه التحديد. ولكن ما أفرده من نقاط وعناوين لكيفية التعاطي والتعامل مع الفلسطينيين في سورية، وحرمانهم من أبسط الحقوق. يمثل بالنسبة لي ولسائر الشعب الفلسطيني والغيورين عليه وعلى قضيته، النقطة الاستراتيجية التي تستلزم التوقف عندها ونقاشها، وبالتالي هل التزم الصمت من قبل باقي المعارضات على مضبطة فهد المصري موافقة على ما جاء فيها؟ أم أنها لا تستحق النقاش، وهي لا تقدم ولا تغيّر في الأمر شيئاً؟

لذلك لا داعي للخوض في موضوعة ما طالب به المصري لحظر نشاط الفصائل وتواجدها في سورية من غير المنظمة والسلطة التي تطالبها مضبطة فهد المصري بجملة طويلة من التعهّدات والالتزامات. لأنّ النقاش الجدي يجب أن يتمحور حول بقية النقاط. على خطورة ما طرحه حول الفصائل وطردها من سورية واعتقال قياداتها وكادراتها وسوقهم إلى المحاكم والتي في أغلبها هي من المكوّنات الرئيسية والأساسية للمقاومة الفلسطينية، التي لا تزال ترى في المقاومة خلاصاً للقضية الفلسطينية وتحقيق الانتصار على العدو، وتحرير فلسطين.

في العودة إلى مكامن الخطر في المضبطة أستطيع تلخيصها بالآتي:

- إسقاط مسألة المساواة بين المواطن السوري واللاجئ الفلسطيني في المجالات الوظيفية والمهنية والعلمية، من خلال تجميد العمل بالقانون «260 الصادر في العام 1956»، وبالتالي حرمانه من الترشح في كافة الاتحادات والنقابات والتدرّج الوظيفي.

- تجريد الفلسطينيين من كافة الامتيازات الممنوحة للفلسطينيين بما فيها الملكية العقارية، ومجانية التعليم والصحة. وحصرها فقط بالسوريين.

- إسقاط حقوقه المدنية والقانونية، عبر المطالبة بتجريده منها، ولأي سبب كان.

مما يعني أن على الفلسطيني أن يختار بين أمرين أحلاهما مرّ، أما البقاء تحت وطأة الظلم والمعاناة والعنصرية التي يُنادي بها فهد المصري وما يُمثل، أو المغادرة والبحث عن ملاذ آخر يأويه وأسرته بعيداً عن سورية باتجاه المنافي البعيدة.

ستبقى مضبطة المصري الناكرة لأبسط علاقات الاخوة التي تجمع الشعبين الشقيقين السوري والفلسطيني ووحدة المسار والمصير بينهما، تعبير حقيقي عن انخراط أصحابها في مشاريع تصفية القضية الفلسطينية، لصالح أهداف «إسرائيلية » في تكريسها «الدولة القومية للشعب اليهودي». وستبقى أيضاً أضغاثاً أحلام من صاغوها ويسوّقونها، لسبب بسيط هو أنّ سورية بإرثها الوطني والقومي والعروبي ستظلّ حاضنة للقضية الفلسطينية شعبها ومقاومتها، حتى تتحقق تطلعات أمتنا العربية في انتصارها على الكيان الصهيوني الغاصب، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس على كامل ترابنا الوطني. وسيبقى الشعب الفلسطيني يحفظ لهذا البلد العربي المقاوم كلّ ما قدمه في سبيل قضيته ومقاومته.

أنا أقتل إذن أنا موجود

■ محمد محمود مرتضى

نشر تنظيم «داعش» فيديو مصوّراً حول أعدام الطيار الاردني معاذ الكساسبة، لكن الإعدام لم يكن بحدّ ذاته هو الخبر، فتاريخ التنظيم حافل بعمليات القتل، إلا أن «المهووس» بصناعة البروباغندا والظهور الإعلامي إرتأى هذه المرة ان يبعث برسالته بطريقة نارية، فنفذ حكم الإعدام بحق الكساسبة حرقاً.

تأتي عملية الإعدام هذه بعد سلسلة من التهديدات أطلقها التنظيم في محاولة لإطلاق سراح ساجدة الريشاوي المسجونة في الأردن بتهم تتعلق بالإرهاب والمحكومة بالإعدام. وبعد اعدام رهينتين يابانييتين حاول «داعش» إطلاق الريشاوي عبر المقايضة بأحدهما قبل إعدامه منذ يومين. ورغم انّ السلطات الأردنية أعلنت استعدادها للتفاوض لمبادلة الريشاوي مع طيارها شرط تقديم «داعش» الأدلة بأنّ الكساسبة لا يزال حياً، إلا أنّ التنظيم لاذ بالصمت حول هذه القضية ليظهر بعدها عملية إعدام الطيار.

في الواقع انّ رفض «داعش» لتقديم معلومات عن سلامة الطيار ومن ثم الإعلان عن إعدامه يقوّي من فرضية انّ «داعش» لا يرغب في إطلاق سراحه، وربما أعدمه بعد أيام من اعتقاله بمعزل عن المعلومات التي ذكرتها السلطات الأردنية من انها تملك معلومات استخبارية عن ان «داعش» كان قد أعدم الكساسبة منذ حوالي الشهر، أيّ في 3–1–2015.

في الحقيقة عندما قلنا إنّ التنظيم لا يرغب في إطلاق سراحه فإنّ ذلك ينطلق من ملاحظات يمكن تسجيلها على مجمل قضية الكساسبة حتى تاريخ الإعلان عن إعدامه ونشر الفيديو حولها:

1 ـ لماذا يقوم «داعش» بإعدام الطيار رغم انّ بإمكانه مبادلته. وهذا ما يمكن أن يرفع من أسهمه داخل الأردن نفسه، كما انه سوف يظهر بمظهر المهتم بالعناصر التي تعمل معه في حال سقطت بفخ الاعتقال.

2 ـ رغم الصور الواضحة لوجه الكساسبة قبل عملية الإعدام، إلا أنّ هذا الوضوح سرعان ما اختفى بحيث يصعب التقاط صورة واضحة لوجه الطيار الأردني اثناء مشهد اشتعال النيران. وما لم يقم «داعش» بتسليم جثة الكساسبة فانني أعتقد انه سيصعب التأكد بشكل قطعي من عملية الاعدام هذه.

3 ـ اذا افترضنا أن «داعش» بالفعل قد أعدم الطيار الآن فلماذا رفض الدخول في التفاوض للمبادلة بالريشاوي، وفضل ربط التفاوض على الريشاوي بالرهينة اليابانية.

ربما هذا اللغط حول رفض «داعش» للتفاوض او إعطاء معلومات عن سلامة الطيار قد قوى من نظرية ان «داعش» قد اعدم الكساسبة في وقت سابق، الا انّ هذه النظرية تبقى مدخولة بجدوى قيام «داعش» بقتل الطيار بعد أيام من اعتقاله رغم حاجته له للتفاوض حول ملفات عدة.

انّ هذه الملاحظات تعيد فتح باب الحديث عن الملابسات التي رافقت عملية أسر الكساسبة، بين تأكيد السلطات الاردنية انّ الطائرة أسقطت بعد إطلاق النار عليها ونفي الولايات المتحدة تعرّض الطائرة لإطلاق النار. ما يعيدنا الى نقطة الصفر في محاولة ايجاد الفرضية الأمثل التي تجيب عن هذه الاشكاليات.

من هنا يمكن اعادة إحياء فرضية لم تأخذ حيّزاً واسعاً في الإعلام والتي تتحدث عن موقف ملتبس حول الطيار معاذ الكساسبة.

رغم أنّ هذه الفرضية تحتاج الى أدلة، إلا أنها تبدو أكثر انسجاماً من ناحية منطقية مع هذا الإصرار من «داعش» على رفض التفاوض عليه مقابل الريشاوي او غيرها، ومع الإصرار على عدم إعطاء السلطات الأردنية تطمينات حول بقائه على قيد الحياة.

ومن هنا فإنّ هذه الفرضية لن يقطعها ويبددها إلا قيام «داعش» بتسليم جثة الطيار، وفي حال الرفض فإنّ أسهم هذه الفرضية سوف تزداد قوة.

هذا في ما يتعلق بالحيثيات التي أحاطت بعملية الإعلان عن «الإعدام» والمتعلقة بالجانب الأردني. إلا أنّ هذا الإعلان وبالطريقة التي تمت لا يمكن فصله عن الانتكاسات المتتالية التي تصيب التنظيم سواء في العراق او سورية.

ففي الوقت الذي يستعدّ فيه الجيش العراقي والقوى المساندة له من الحشد الشعبي والعشائر لتحرير باقي المناطق في محافظة صلاح الدين، شهد «داعش» في سورية ايضاً انتكاسات في عين العرب والرقة ودير الزور، فضلاً عن خلافات داخلية بدأت تظهر بشكل عنفي بين عدة مجموعات.

إعلامياً تراجع «داعش» عن تصدّر المشهد الذي تسيّده لأشهر عدة بعد التطورات المتلاحقة في المنطقة في أعقاب عملية اغتيال كوادر من حزب الله في القنيطرة والردّ القوي من حزب الله، ما أعاد الصراع في المنطقة الى وجهته الحقيقية ضدّ العدو الاسرائيلي، وكشف القناع عن هذه الجماعات التكفيرية وارتباطاتها مع العدو الاسرائيلي لا سيما «جبهة النصرة» التابعة لتنظيم «القاعدة».

أمام هذه الانتكاسات العسكرية الكبيرة من جهة وتراجع التنظيم عن الواجهة الاعلامية لحساب الصراع مع «إسرائيل» وتصدّر محور المقاومة للمشهد كمحور متماسك أعاد نوعاً من التوازن للاصطفافات الشعبية في الشارع العربي لمصلحة هذا المحور وصراعه مع «إسرائيل»، في وقت تخوض التنظيمات التكفيرية صراعات داخلية لم تنتج الا مزيداً من القتل وسفك الدم وتشويه الإسلام وتدمير المجتمعات.

أمام هذا كان من الواضح أنّ «داعش» سوف يلجأ الى عمل إجرامي يأخذ فيه طابع الاستعراض بعد أن فشل بالقيام بعمل عسكري يمكّنه من إعادة الاعتبار للتنظيم ورفع معنويات عناصره، لا سيما أنّ مشهداً يسود فيه محور المقاومة من جديد لن يفيد «داعش» في عملية الاستقطاب.

يعيش «داعش» على القتل والدم وعلى نشر الفوضى والتخلف، لذلك لم يكن مصادفة أن يتمّ في يوم واحد: نشر إعدام الطيار الأردني حرقاً، وإحراق التنظيم لمكتبة الموصل بكلّ ما فيها من علم وثقافة.

لقد كانت رسالة «داعش» واضحة: أنا اقتل وأحرق إذن أنا موجود.

عندما تنتقل الشعلة من الطفل المقدسي محمد أبو خضير إلى الأردني البهيّ معاذ الكساسبة!

■ نصار إبراهيم

الشهيد معاذ الكساسبة

الشهيد محمد أبو خضير

1) يا نار كوني بردا وسلاما على معاذ!

سار نحو ذاته... حمل معه أجمل ما في الروح والذاكرة... وجه أم وجبين والد وابتسامة امرأة يحبها... في تلك اللحظات الفاصلة ما بين الرجاء والأمل والتهيّؤ للرحيل... في تلك الدقائق الرهيفة والكثيفة والخطوات التي سارها معاذ وهو ينظر بعيداً نحو أفق يتماوج في القلب... بدت حينها قمم مؤاب وجبال عمان السبعة تلوح متراقصة في السراب... كومضة برق مرّت في ذاكرة معاذ وجوه حبيبة وأليفة وقريبة... فكان كمن أسرى به ربه صعوداً نحو السماء...

بماذا كان يفكر معاذ يا ترى في تلك اللحظات... كيف تحمّل أهوال اللحظة... فيما حوله قطعان ضباع مسعورة تعوي...؟ بماذا كان يفكر وهو يرى النيران تقترب...؟

أيّ قلب هذا... وأيّ روح تلك وأيّ جسد ذاك الذي اشتعل ليضيء... أيّ رسالة وأيّ كلمات كان يودّ معاذ أن يهمس بها لنا...؟

كثيرة ستكون تلك الكلمات القليلة... لكنها ستكون بسعة روح تشتعل...

كم شعر معاذ بالغصة وهو يرى الله يتحوّل في تلك اللحظات إلى شعلة نار تحرق ما أبدع الله...

ياااه يا معاذ... وكأني بك قد أبيت سوى الاشتعال واقفاً رغماً عنهم لكي يصل ضوؤك إلى أبعد نقطة في الكون... لكي تضيء كأبعد نجمة في السماء... وكأني بك تقول ها أنذا أشتعل كي أضيء...

ياااه يا معاذ كأني بك تقول... ما دامت قد فُرضت عليّ الشهادة فها أنذا استقبلها وأنا لها... قتلاً أو ناراً أو ذبحاً لا فرق... فهو الموت ذاته على أيدي القتلة ذاتهم...

رفع معاذ وجهه نحو السماء... احتضن ذاته... احتضن أهله... احتضن ذكرياته... احتضن آخر ضحكة سمعها... ومضى... مضى شعلة تصعد... وتصعد وهي تضيء كشهاب ساطع...

ماذا كان يمكن أن يقول معاذ لحارقيه...؟

كأني به، بعد أن حسم أمره استعداداً وتهيّؤاً يقول: لن تصلوا... احرقوا اقتلوا اذبحوا دمروا كبّروا... ولكنكم لن تصلوا... لأنكم فقدتم آخر ذرّة من وعي وشعور وإحساس بالإنسان والكرامة... ولهذا انبئكم بأنّ شعلة جسدي ستكشف هول ظلامكم وبؤسكم وفقر عقولكم... وموت عيونكم... أنتم لا شيء... يمكنكم أن تقتلوا وتحرقوا لكنكم لا شيء... لا شيء أبداً... أنتم فقط مشروع فجور ورعب... لا أكثر... أنتم مجرّد أدوات عمياء قاحلة هزيلة وبائسة... يدفعونكم إلى متاهة التيه لكي يكونوا...!

أما أنا معاذ الكساسبة... فقد عزمت وحسمت وتوكلت... كنت أتمنى أن لا أرحل باكراً فلا يزال عندي الكثير لأعمله في هذه الحياة... كنت أتمنى أن لا أرحل باكراً لأنّ لديّ ما أودّ قوله لوالدتي... وما أودّ قوله لوالدي ولأشقائي... كنت أودّ أن احضن زوجتي لنطلق أسراباً من أطفال وفراشات... كنت أحلم بأن أناغي طفلي... وأن أسير ممسكاً بيده فجراً نحو الصلاة... أن أربط حذاءه في يومه الأول إلى المدرسة... كنت أحلم وأحلم وأحلم... ولكن لا بأس... فأنا الآن مستعدّ للمواجهة... وفي النهاية أقول لكم: لقد خسرتم المواجهة مسبقاً... لقد خسرتم قبل أن تبدأوا...

الآن أنا ذاهب حيث قدّر لي أن أكون وأن أذهب... ولكن سترون أنّ النار التي اشعلتموها لكي ترعبوا الوعي وتزرعوا الرعب قد تحوّلت إلى دفيئة لوعي إنساني نقيض... فشعلة جسدي وروحي وقلبي هذه التي ترقصون حولها ابتهاجاً، ستضيء عقول وقلوب الملايين من الناس الذين التبست عليهم نداءاتكم وتكبيراتكم... وسيشعل جسدي فضاءات ومساحات جديدة وسيزرع مساحات جديدة بالأمل والحب... وسيوقظ وعياً بكامله... وسيستعيد الله ذاته وسيستعيد الإسلام ذاته سترون... سترون! سترون كم كانت رهاناتكم ومقامراتكم بائسة!

هي شعلة معاذ تضع حداً فاصلاً بين الوهم والحقيقة، بين الدين الملتبس والشكليّ والدين الذي يعشق الحياة والناس ويقاوم من أجل الكرامة، وبأنّ الله ليس تنظيماً أو خليفة أو بندقية تطلق النار وتفجر وتحرق، وكم هي هشة وفارغة وكاذبة هلوسات القتلة باسم الدين وباسم الله.

في ذلك المساء واصل قطيع الضباع عواءه ورقصه كشياطين مسعورة صاعدة من أعماق الجحيم حول الجسد المشتعل...

وفي ذات اللحظة كان الفجر هادئاً في عيني معاذ... هادئاً تماماً.

فيا نار كوني برداً وسلاماً على معاذ، كوني برداً وسلاماً على هذا الرجل الأردني العربي الجميل...!

أما أنت يا عمان ويا كرك فهيا أطلقي غضبك وأذّني: أن أقيموا الصلاة لله والإنسان والمقاومة...

(2) يا نار كوني برداً وسلاماً على الطفل المقدسي محمد أبو خضير!

تموز 2014

عند الفجر... والعصافير لما تزل تحت أجنحة أمهاتها، نهض محمد، الطفل المقدسيّ وتوضأ للصلاة، ليس بينه وبين الله حدّ أو شيخ أو تنظيم... هو والله وحدهما فقط... خطواته تلامس أزقة القدس الندية... قلبه يهفو برفق... يصلّي وهو يسير الهوينا... فالسير في شوارع القدس فجراً هو نوع من صلاة...

تنام القدس وعيناها مشرعتان على السماء... ومن بعيد جداً يصلها عواء الذئاب الضالة... ذئاب ليس بينها وبين القدس سوى مسافة السكين... وعند الفجر أيضاً، وفي مكان قريب، تهيأ أبو ملجم وشحذ خنجره وعينه على قلب علي، وعند الفجر ذاته فحّ قطيع الذئاب وعينه على قلب محمد أبو خضير... الطفل الذي يصلّي ماشياً الهوينا ونبضات قلبه الفتيّ تعانق البيوت والحواري الغافية... مرّ كالنسيم الرقيق، فيما داعب غرّته بلطف غصن ياسمين تهدّل من فوق شرفة حميمة، غصن ياسمين دمشقيّ أودع في عينيّ الطفل المقدسيّ فجراً همسة لقاء ووعد.

عند الفجر، وفيما الأذان يهدل فوق القدس كنورس عابر يلاحق عشقه وأحلامه، يستعر الأفق بعواء قطعان وحشية ودموية تمزق قلب المدينة، وهنا في القدس حيث ضوء الله يفيض هدوءاً كان قطيع المستوطنين يزحف في هدأة الفجر ويحاصر الطفل البهيّ الذي تداعب غرّته نسائم فجر يراه للمرة الأخيرة...

حاصر القطيع الطفل الذاهب للصلاة... أخذوه وحيداً... لا أدري كيف كانت نظرته الأخيرة، لا أعرف كيف ومضت عيناه، ماذا كان دعاؤه الأخير... ولا أدري كيف أنهى صلاته... فهل سلّم على النبيّ وعلى من على الأرض... هل لاحظ محمد أبا ملجم بين أولئك المستوطنين وهو يضع على رأسه الكيباة!؟

في ذلك الفجر التقى عليّ بمحمد... كانا ينزفان معاً... قال الإمام للطفل المقدسيّ: لك الله أيها المقدسيّ!

أخذ قطيع الذئاب الطفل بعيداً، مزقزه وأشعلوا النيران ورقصوا حولها كالشياطين المسعورة الصاعدة من أعماق الجحيم... ضغط الإمام على جرحه النازف وأرسل عبر السماوات صرخته الأزلية: يا نار كوني برداً وسلاماً على محمد، يا نار كوني برداً وسلاماً على هذا الطفل المقدسيّ الجميل...! يا نار احرقي الكون والمعبد والهيكل فوق رؤوس القتلة!

ايقظت صرخة عليّ القدس من غفوتها، فنهضت المدينة من نومها مفجوعة... زلزلت الصرخة أعماقها... فهبّت للصلاة على طريقتها وأشعلت غضبها... نزل المقدسيون إلى الشوارع، لم ينتظروا قيادة أو قراراً، لم ينتظروا مساعدة أو شجباً أو استنكاراً... ماد الأقصى واهتزت القيامة لقيامة الطفل المقدسيّ محمد وهو يمضي صاعداً نحو السماء... ألقى الطفل نظرة أخيرة نحو مدينته الحبيبة، فكان عليّ هناك يضغط جرحه ويقاتل بين الجموع الثائرة... أما قطاع الطرق وأبو ملجم وقتلة الأطفال فجراً في القدس وفي دمشق وفي بغداد وفي القاهرة فقد أرعبهم النهوض وأخافهم أنّ الناس البسطاء يعرفون صلاتهم جيداً، ويعرفون أنّ الله ليس تنظيماً أو خليفة أو بندقية تطلق النار وتفجر رؤوس الأطفال وتحرقهم.

كان الفجر هادئاً في عيني محمد... هادئاً تماماً...

أما القدس فقد شمّرت مع الفجر عن غضبها وأذّنت: أن أقيموا الصلاة للمقاومة...

والقدس تقيم الآن صلاتها في الشوارع والساحات والبيوت... هي القدس تضع حداً فاصلاً بين الوهم والحقيقة، بين الدين الملتبس والشكليّ والدين الذي يعشق الحياة والناس ويقاوم من أجل الكرامة.

هي القدس تنهض بأثقالها ورهافتها... وتكشف كم هي هشة سلطة الاحتلال وقوته، وكم هي هشة بنيته الأخلاقية، وكم هي هشة وفارغة وكاذبة هلوسات القتلة باسم الدين وباسم الله.

القدس على مرمى بصر... فأين هم؟ القدس تقاوم بعينيها وأطفالها وشبابها وحجارتها... فأين هم؟

غير أنّ القدس... لا تنتظر جواباً... فهي مشغولة بنهوضها... ومشغولة بأن تودّع محمداً بما يليق بطفل يرتقي بهدوء نحو السماء بعدأن أضاء دمه سماء المدينة بالغضب المقدس.

https://www.facebook.com/pages/Nassar-Ibrahim/267544203407374